المختصر المفيد

في علم التوحيد

كتبه

فضيلة الشيخ

حسين صديق احمد

الشهير بالشيخ (عبد الرشيد)

من علماء الأزهر الشريف

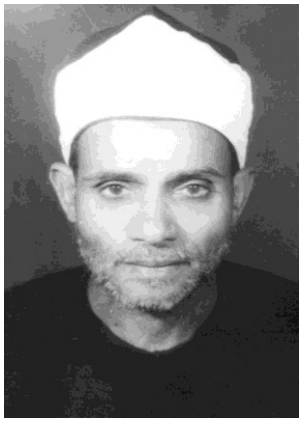

بسم الله الرحمن الرحيم

أن كل ما تراه العين أو يحس به الإنسان في هذا العالم المترامي الأطراف المختلف الأشكال والألوان من سماوات وأرضين وشمس وقمر ونجوم ونبات وأشجار وجبال وأنهار وحيوانات وطيور وأسماك وحشرات وغير ذلك من مخلوقات لا يحصيها إلا خالقها ولا يحيط بها إلا مبدعها ومنشؤه . إذا فكرنا فيها نجدها مترابطة متماسكة متقنة في إبداعها منظمة في ارتباطه . إنها لتدل أكبر دلاله على إنها ترجع إلى ذات واجبة الوجود متصفة بأكمل الصفات وأمجدها .

وهذه الذات مصدر لكل ما يظهر في هذا الوجود، وهى ذات الله المهيمن على جميعها والمتصرف في كل شئونها من صغير وكبير ودل باهر صنعه على عظيم علمه وحكمته وقدرته وإرادته، فهو الحي القيوم، وهو بكل شئ عليم، وعلى كل شئ قدير وهو الغنى عن كل شئ وكل شئ محتاج إليه، وهذه العوالم كلها يعترها التغير والانحلال، والحركة والسكون، والكبر والصغر والحياة والموت، والقوة والضعف إلى غير ذلك من الصفات التي تدل على حدوثها أى وجودها بعد العدم ، وتدل أن هناك قوة قاهرة لا يصيبها ضعف ولا عجز ولا خور ولا فتور ولا تغيير ولا موت . ذلك الواحد القهار .

بهذا جاءنا القرآن، وأخبر بذلك سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن العقول السليمة لتقر بذلك إقراراً تاما وتخضع لذلك خضوعا كلياً، ولا تستطيع إلا إذا كان العقل به خلل في أصل خلقته، أو اعوجاج في تربيته ونشأته، لذلك كان أول واجب على المكلف معرفة هذا الإله الخالق القادر، وإنما كانت معرفة الله أول واجب على المكلف لأنه يتوقف عليها جميع الواجبات إذ بدونها لا ينفع عمل .

وليس المراد بمعرفة الله معرفة ذاته العلية، لأنها ليس ممكنة لمخلوق مهما عظمت درجته، لأن المخلوق الضعيف يقصر بطبعه عن عظيم هذا المقام فكل ما خطر ببالك فالله خالق لذلك .

فالإنسان يعجز عن إدراك ومعرفة روحه التي بين جنبيه، فكيف يتطاول لمعرفة خالق الأرواح وخالق السماوات والأرض . ولذلك أمرنا بالتفكر في المخلوقات، ونهينا عن التفكر في ذات الله عز وجل، وفي الحديث : إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه .

والمراد بمعرفة الله هو معرفة ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه من الصفات .

- والواجب هو الذي لا يقبل العدم أبداً .
- والمستحيل هو الذي لا يقبل الوجود أبداً .
- والجائز هو الذي يقبل الوجود والعدم .
- والواجب في حق الله إجمالا هو كل كمالٍ يليق بذاته تعالى .
- والمستحيل في حقه إجمالاً كل نقص بذاته تعالى .
- والجائز في حقه إيجاد كل شيء من العالم وإعدامه .

أولاً: والواجب في حق الله تفصيلاً الصفات الآتية:

الوجود - القدم - البقاء - المخالفة للحوادث - وقيامه بنفسه والوحدانية – والحياة - والعلم - والإرادة - والقدرة والكلام والسمع والبصر .

فالصفة الأولى: وهي الوجود . وتسمى صفة نفسية، لأن الوصف بها يدل على نفس الذات . ومعنى كون وجوده واجباً أنه تعالى لا يقبل الانتفاء أزلاً وأبداً - أي لا يمكن عدمه - الدليل على وجوده تعالى وجود هذا

العالم لأنه صنعة وجدت بعد العدم، وكل صنعة لابد لها من صانع لأنه لا يعقل وجود صنعة بدون صانع . والدليل على أن العالم حادث - أي وجد بعد العدم - أنه متغير كالحركة بعد السكون، والسكون بعد الحركة، والضوء بعد الظلمة، والظلمة بعد الضوء، والسواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة وهكذا إلى غير ذلك فهذا يدل على الحدوث، أي الوجود بعد العدم وكل ما كان كذلك فهو صنعة وهو محتاج إلى موجد يوجده لأنه لا يعقل أن يوجد الشئ نفسه .

الصفة الثانية:

القدم . ومعنى قدم الله أنه لا أول لوجوده والدليل على ذلك أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً - أي وجد بعد العدم - ولو كان كذلك لاحتاج إلى موجد يوجد . وموجده أيضا يحتاج لمن يوجده وهكذا، فيترتب على ذلك وجود إلهة لا نهاية لها كل منهم موصوف بالعجز والافتقار وهذا باطل ومستحيل .

الصفة الثالثة: البقاء . ومعنى بقاء الله أنه لا يلحقه عدم أبداً والدليل على ذلك أنه لو لحقه الفناء والعدم لكان عاجزاً عن دفع الضرر عن نفسه ومن عجز عن رفع الضرر عن نفسه لا يصح أن يكون إلهاً . ولذلك قال الله تعالى :﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ فأوليته لا ابتداء لها، وآخريته لا انتهاء له .

الصفة الرابعة: قيامه تعالى بنفسه . ومعنى ذلك انه لا يحتاج إلى محل يقوم به، ولا يحتاج إلى مخصص أي إلى فاعل يوجد . والدليل على ذلك أنه لو أحتاج إلى محل يقوم به لكان عاجزاً مفتقر . والعاجز المحتاج لا يصح أن يكون إلهاً وكان الله موجوداً ولا مكان ولا زمان . ولو احتاج إلى فاعل يوجده لما كان قديما ولكنه ثبت قدمه .

الصفة الخامسة: مخالفته تعالى للحوادث - أي العوالم كلها - فالله تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا متحرك ولا ساكن، ولا يوصف بالكبر ولا

بالصغر، ولا بالفوقية المكانية ولا بالتحتية ولا باليمين ولا بالشمال، ولا بالخلف ولا بالأمام إلى غير ذلك من صفات الحوادث إذ لو كان مماثلاً لها لوجب له ما وجب لها من الحدوث والعجز والاحتياج، والموصوف بذلك يستحيل أن يكون إلهِ . وأعلم أن العالم وأن عظم في نفسه فهو بالنسبة لعظم قدرة الله ليس بشيء فكيف يكون العلي الكبير القديم القدير حالّاً في مكانٍ أو في جهة لهذا الشيء الحادث الحقير الفقير .

الصفة السادسة: الوحداني . ومعناها أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعالـ .

١ ومعنى وحدانية الذات أنه تعالى ليست ذاته مركبة من أجزاء وليس هناك ذات تشبه ذاته العلي .

٢ ومعنى وحدانية الصفات أنه ليس له صفتان من جنس واحد، فليس له قدرتان ولا إرادتان، أنما له قدرة واحدة يوجد بها ما يشاء، ويعدم بها ما يشاء، وعلم واحد أيضاً يحيط بجميع الأشياء وليس لأحد صفة تشبه صفته تعالـ .

٣ وواحد في أفعاله فليس لغيره فعل يشبه فعلـ .

والدليل على وحدانية الله تعالـ : قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

وبيان ذلك أنه لو أمكن التعدد لأمكن التمانع بينهما بأن يريد أحدهما حركة زيدٍ مثلاً ويريد الآخر سكونه، فحينئذ إما أن يحصل الأمران فيلزم اجتماع الضدين وهو محالـ . وإما ألا يحصل شيء أبداً فيلزم عجزهما أو يحصل مراد أحدهما فيلزم عجز الآخر ويلزم معه عجز من حصل مراده لأن الفرد أنهما متساويان فحينئذ بطل التعدد وأصبح مستحيلا . وأيضا لو كانت ذاته مركبة من أجزاء متصلة

بعضها ببعض لكان مماثلا للحوادث من حيث التركيب فيحتاج إلى من يركبه، فلا يصح أن يكون إلهـ .

وهذه الصفات الخمس وهى القدم وما بعدها إلى الوحدانية تسمى بالصفات السلبية، لان كلاً منها سلب - أي نفى عن الله معنى لا يليق بذاته .

- فالقدم نفى عن الله الحدوث، وهو سبق العدم .
- والبقاء سلب عن الله الفناء، وهو العدم بعد الوجود .
- والقيام بالنفس سلب عن الله الاحتياج والافتقار .
- والمخالفة للحوادث سلبت عن الله المماثلة .
- والوحدانية سلبت عن الله التعدد في الذات والصفات والأفعال .

فحينئذ ثبت أن الله تنزه عن كل ما يفيد النقص من مماثلة أو غير ذلك .

وما ورد من النصوص في القران أو السنة مما يفيد المماثلة أو التشبيه أو غير ذلك كقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وقول الرسول ﷺ : ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) وقوله تعالى ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ وقوله تعالى :﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾

فإجماع السلف والخلف على تنزيه الله عن المماثل للحوادث وعن الحلول في جهة أو مكان، لكنهم اختلفوا في المراد بهذه النصوص .

فالسلف يفوضون في تعيين المعنى إلى الله . ويقولون في كل نص من هذا النوع بعد تنزيه الله . ألله أعلم ". ألله أعلم بمراد .

أما الخلف فهم بعد أن يعتقدوا تنزيه الله عن المعنى الحقيقي لهذه النصوص يحملون النص على معنى يليق بذاته، فيقولون في اليد " المراد بها قدرة الله . وفي الوجه " المراد به ذات الله، وفي قوله ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ سلطان الله وعمله، ويقولون في ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ أي استولى استيلاءً

يليق بذاته . وفي قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ، أي أمر ربك إلى غير ذلك . وفي قول النبي ﷺ ينزل ربنا ، أي تنزل رحمته .

الصفة السابعة: الحياة ومعناها أنه تعالى ليس بميت . والدليل عليها أنه لو لم يكن حياً لكان ميتاً ولو كان ميتاً لما أوجد شيئاً من هذا العالم . لكن العالم موجود . فالله حي .

الصفة الثامنة العلم . ومعناها عدم الجهل . والدليل أنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً ولو كان جاهلاً لما أوجد هذا العالم البديع النظام فهذا يدل على أنه عالم .

الصفة التاسعة: الإرادة .. وهي عدم الإكراه له . لأنه لو لم يكن يريد في مخلوقاته لكان مكرهاً عليه . ولو كان مكرهاً لكان عاجز ... والعاجز لا يصح أن يكون إله .

الصفة العاشرة القدرة . ومعناها عدم العجز لأنه لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إله .

الصفة الحادية عشر: الكلام . ومعناها عدم البكم وكلامه ليس بحرف ولا صوت فكما أن ذاته لا تدركها العقول فكذلك كلامه . والدليل قال الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ .

الصفة الثانية عشر: السمع . ومعناها عدم الصمم . إذ أنه لو لم يكن سميعاً لكان أصم . والصمم عيب ونقص والإله منزه عن هذا والدليل ﴿أَنَّ﴾ (وفى أنفسكم أفلا تبصرون بَصِيرٌ﴾ .

الصفة الثالثة عشر: البصير . ومعناها عدم العمى . والدليل ﴿ وفِي أَنفسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ولو لم يكن بصيراً لكن أعمي والعمى نقص والنقص مستحيل على الله .

وهذه الصفات السبع تسمى صفات المعاني لأنها تدل على معاني زائدة على الذات .

ثانيا: أما ما يستحيل في حق الله تفصيلاً فهي أضداد الصفات الواجبة التي ذكرناها وهى كما يأتي :

) العدم وهى ضد الوجو .
) الحدوث وهى ضد القد .
) الفناء وهى ضد البقا .
) الاحتياج للغير وهى ضد القيام بالنفس .
) المماثلة للحوادث وهى ضد المخالفة للحوادث .
) التعدد وهى ضد الوحداني .
) الموت وهى ضد الحيا .
) الجهل وهو ضد العل .
) والإكراه له وهو ضد الإراد .
٠) العجز وهو ضد القدر .
١) البكم وهو ضد الكلا .
٢) الصمم وهو ضد السمع .
٣) العمى وهو ضد البصر .

ثالثا:ألجائز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه:

والممكن هو كل ما سوى الله فيجوز على الله إيجاده أو إعدامه ولا يسأل عما يفعل ولا يجب عليه شيء فليفعل ما يشاء ويختار فيحيي ويميت ويرزق ويهب لمن يشاء ما يشا .

واعلم أن العلم يتعلق بجميع الأشياء تعلق إحاطة وانكشاف فيتعلق بالواجب والمستحيل والجائز . فالله يعلم بذاته وصفاته ويعلم أنه ليس له شريك ويعلم جميع المخلوقات علماً تفصيلي .

والإرادة تتعلق بجميع الممكنات تعلق تخصيص .

والقدرة تتعلق بجميع الممكنات تعلق تنفيذ وإيجاد وإعدا .

والكلام يتعلق بجميع الموجودات تعلق دلالة أمر ونهي وخبر .

والسمع يتعلق بجميع المسموعات تعلق انكشاف يخالف انكشاف العل .

والبصر يتعلق بجميع المبصرات تعلق انكشاف يخالف انكشاف العلم والسمِ .

ووجود العالم دليل على وجود الله لأن العالم كما قلنا صنعة تدل على وجود صانعه، فينبغي التأمل في ملكوت السماوات والأرض ودقائق الحكم لنعلم بذلك أنه الواجب الوجود المالك المعبود القادر العظيم العليم الحكيم فنهتدي إلى ما خلقنا لأجله العباد .

فالتفكر في المخلوقات والاقتداء بسيد المرسلين وفعل الفرائض والبعد عن المعاصي يؤدي إلى وجود حبه تعالى وشكره فيترتب على ذلك تفجير ينابيع الحكمة في القلب والقعود في مقعد صدق عند الله وهذا هو مقام الإحسان والمشاهدة الذي أخبر به رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) فالإنسان بالتفكير والعبادة يصل بعد الإيمان بالدليل إلى الإيمان مع المشاهدة وهو المشار إليه بقوله ﷺ تعبد الله كأنك ترا) أو المراقبة وهو المشار إليه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وحينئذ لا يحتاج الإنسان إلى دليل على وجود الله لأنه يحس به إحساس من يشاهد ويرى .

ولنذكر لك شيئا من كيفية التفكر في خلق الله فنقول قال الله تعالى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ فأنت إذا نظرت إلى مبدأ خلقك وجدت ربك سبحانه وتعالى قاد والديك بزمام الشهوة مقهورين في صورة مختارين مع تمام البسط والأنس حتى إذا حصل الوقاع صانك الله في قرار مكين فخلق تلك النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم صورها في أحسن صورة فجعل الرأس في أحسن خلقه وخلق العين والإذن والأنف وصور الوجه في أحسن صورة وأودعها من الجمال والكمال ما لا يخفى ثم أودع البصر في

العين، والسمع في الإذن، والشم في الأنف، وخلق الفم وزينه بالشفتين وخلق اللسان وجعل فيه الذوق وجعله يترجم عما في الفؤاد من العلوم والمعارف، وجعل الرقبة حاملة الرأس . وجعل فيها المنفذ الموصل للأكل والشراب إلى المعدة وأودع في البطن من الأمعاء والمصارين والقلب والكبد وغيرها مما لا يعلم حقيقته إلا هو تعالى، وخلق الأيدي وخلق فيها الأكف والأصابع وجعل لها مفاصل ليتيسر بها قضاء الحاجات وجعل الأرجل كذلك كالأيدي وخلق العظام وكساها لحم . ثم نفخ فيك الروح وهو سر عظيم عجيب من أسراره تعالى فتحركت في بطن أمك وما زال بك رؤوفا رحيماً يوصل لك غذاءك وأنت لا تعلم شيئا حتى أذا تم خلقك أنزلك من الرحم من أضيق محل فلطف بك وبأمك حتى أذا برزت ألهمك بمجرد النزول كيف المص والإرتضاع من ثدي أمك وأجرى فيه اللبن . ولما آن أوان الأكل خلق الأسنان والأضراس ورتبها ترتيب عجيبا ثم لما قرب بلوغك وكانت هذه الأسنان ضعيفة أسقطها وأبدلها بأقوى منها ثم إذا أكملت فجر الله في فمك عينا جارية وهى الريق لا ينقطع ما دمت تأكل لتبتل اللقمة ويسهل بلعه .

فانظر إلى هذه الحكمة العجيبة التي أنت في غاية الاحتياج إليها وليس في قدرتك إجراؤها ولا منعها فإذا نزل الطعام والشراب في المعدة صرفه إلى ما يشاء فبعضه يتربى منه اللحم وبعضه يتربى به الدم ثم ما فضل عن ذلك وكان فيه الإيذاء للبدن لو بقى في البطن أخرجه من مخرجيك . فانظر إلى هذين المخرجين وإلى بديع حكمتهما وبالجملة لم يزل سبحانه بك رؤوفا رحيما ودوداً كريما في كل لحظة وأنت غافل عن نفسك .

وانظر إلي خروج النفس ودخوله الذي به قوام الروح حالة اليقظة والنوم والصحة والمرض .

وانظر إلى العقل الذي به التمييز والتدبير وإدراك العلوم والمعارف وما يضر وما ينفِ .

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

فيا ليت شعري أهذا ينبغي أن يعصى فيما أمر ونهى .

ثم إذا نظرت إلى السماء وكواكبها والسحاب والرياح وتصريفها وإلى الأرض وأنهارها وأشجارها ونباتها . لو نظرت إلى هذا كله لأفضى بك إلى العجب العجاب وعلمت أنه المحسن الوهاب .

اللهم وفقنا لما فيه رضاك واقطعنا عن كل شئ سواك . وأملا قلوبنا من حبك وحب رسلك وأذقنا لذة الوصل م ر فيض فضلك وخذ بأيدينا إذا نهضنا وسامحنا إن أخطانا انك أنت الجواد الكريم الرؤوف الرحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

((النبوات))

إن بني آدم ضعفاء خلقوا من ضعف لا يستطيعون تلقى الأحكام من الله مباشرة ولا يتحملون رؤية الملائكة وهم في حاجة شديدة إلى معرفة الأحكام ومعرفة الأفعال والتروك . مما يقربهم إلى الله ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة فلذلك اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يصطفى منهم أناسا ويطهرهم ويؤهلهم بما أودع فيهم من خصوصيات تجعلهم يستطيعون إن يتلقوا الإحكام من الله بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، وفى الوقت نفسه هم بشر فيهم صفات البشر مما يجعل الناس يستطيعون أن يتلقوا الأحكام منهم التي يسيرون عليها في الدنيا من عبادات ومعاملات لأنهم بأنفسهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى معرفته . وهؤلاء الذين يتلقون من الله ويبلغون الناس هم الرسل .

ويجب على كل مكلف أن يعرف الواجب والمستحيل والجائز في حق هولاء الرسل .

والرسل كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله والواجب علينا معرفة من ورد ذكرهم في القرآن وهم خمسة وعشرون رسولاً، وهناك أنبياء غير الرسل لا يعلم عددهم إلا الله . والفرق بين النبي فقط والرسول أن النبي أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغ ...

وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول .

والواجب في حق الرسل : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ويستحيل ضدها فضد الصدق الكذب ضد الأمانة الخيانة وضد التبليغ الكتمان وضد الفطانة البلاد .

فيجب في حقهم الصدق ويستحيل الكذب لأن الله صدقهم بالمعجزات فلو كانوا كاذبين لكان الله كاذبا لأن تصديق الكاذب كذب والكذب على الله محال .

ويجب في حقهم الأمانة وهى عدم تلبسهم بمنهي عنه ولو كان مكروهاً لأنهم لو تلبسوا بالمنهي عنه لكانوا مأمورين بالمعصية لأن الله أمرنا بالاقتداء بالرسل إلا ما كان خاصا بهم والله لا يأمر بالمعصية ويجب في حقهم إذ لو لم يبلغوا ما أمروا بتبليغه لكانوا عصا . ويستحيل في حقهم المعصيه .

ويجب في حقهم الفطانة وهى حدة العقل وقوة الذكاء لأنهم مطالبون بإقامة الحجة فلو كانوا بلداء لما استطاعوا أن يقيموا الحجة على من عارضهم والجائز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدى إلى نقص في مراتبهم العلية فيجوز في حقهم الأكل والشرب والمشي في الأسواق والأمراض

التي لا تنفر منهم كالمرض الخفيف يستحيل في حقهم الجذام والمرض المعدي . وكذلك يستحيل في حقهم العمى إلى غير ذلك .

وما قيل عن سيدنا شعيب بأنه عمى لا أصل له وإنما أصابه غشاوة يسيره بدليل زواله .

وكذلك ما قيل عن سيدنا أيوب أن الديدان انتشرت في جسده لا أصل له، نعم هو مرض مرضاً غير معدي ولا منفر .

كما يستحيل في حقهم ما ذكر من أضداد الصفات الواجبة في حقهم السابقة فيستحيل في حقهم فعل محرم أو مكروه لان الله حفظ بواطنهم وظواهرهم ر التلبس بمنهي عنه سواء كان منهيا عنه نهى تحريم أو نهى كراهيه . وما ورد من نسبة المعصية إلى بعضهم فهو من قبيل حسنات الإبرار سيئات المقربين .. فهو ليس بسيئة حقيقية وإنما سميت سيئة لعلو مقامهم ويصح أن يكونوا قد علموا باطنا بوقوع ما سمى معصية عند حصوله منهم وهو سر بينهم وبين ربه . فيصح إن يكون آدم عليه السلام علم باطنا أنه لابد من الأكل من الشجرة ليترتب عليه ما ترتب .

وكذلك إخوة يوسف يصح أن يكونوا عملوا باطنا بان يوسف عليه السلام سيكون عزيز مصر ففعلوا معه لينفذ هذا التقدير الازلي .

وما حدث من موسى عليه السلام من قتل القبطي ليس معصية لأنه لم يقصد قتله وإنما قصد إبعاده عن الاسرائيلي فصادف ذلك انتهاء أجل .

وهكذا كل ما حدث من نبي أو رسول مما ظاهرة معصية ليس في الحقيقة معصية وإنما سمى معصية لعلو مقامه .

والمراد من قوله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إنما المراد عدم وقوع الذنب سواء فيما سبق وفيما سيأتي، أو المراد مغفرة ذنوب أمته .

والمراد بقوله تعالى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ذنوب أمتك والمراد بقوله ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ يصح أن يكون المراد وضعنا عنك ثقل حمل الرسالة .

وما ذكر في حق سيدنا داود فهو من الإسرائيليات لا أصل له وما ذكر في حق سيدنا إبراهيم من كونه كذب ثلاث مرات فهو مؤول وليس بكذب فقوله فى حق سارة إنها أختي) وهي زوجته والمراد أخوة الإيمان وهي أخوة حقيقية . وقوله ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ قال ذلك تبكيتاً لهم وإلزامهم الحجة أو المراد أصبعه الأكبر وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ليس بكذب لأن من كان في عنقه الموت وهو منتظر له فهو سقيم .

وما ورد في حق سيدنا يوسف من إنه هم بها فالمراد والله أعلم إنها همت به هم فعل وهو هم بها هم امتناع .

وأنبياء الله منهم نبيون فقط ومنهم نبيون ورسل .

والفرق بينهما أن كلا منهم أوحى إليه بشرع إلا أن الرسل أمروا بالتبليغ وغيرهم من الأنبياء لم يؤمروا بالتبليغ والأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله وكذلك الرسل لا يعلم عددهم إلا الله .

فيجب الإيمان بالجميع إجمالاً ويجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد ذكرهم في القرآن وهم خمسة وعشرون رسولا ثمانية عشر في قوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ . وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح ودواد وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط والباقون هم إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم وسيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين . وهم جميعاً لهم علينا من وجوب الحب والاحترام والتعظيم ما لسيدنا محمد ﷺ وإلحاق أي نقص بواحد منهم يعتبر كفرا وخروجا من الإسلام .

فهؤلاء يجب الإيمان بهم جميعا بمعنى أنه إذا ذكر أحدهم يجب الإقرار بنبوته ومنكرها كافر إلا إذا كان جاهلا فيجب تعليم .. وبعد التعليم إذا أنكر يكون كافر .

وأولو العزم من الرسل خمسة وهم أفضلهم . وترتيبهم تصاعديا نوح فعيسى فموسى فإبراهيم فخاتم النبيين محمد ﷺ .

وسيدنا محمد رسالته عامة للناس جميعا في عصره وبعد عصره إلى يوم القيام . وهى عامة للإنس ومنهم يأجوج ومأجوج والجن والملائكة ورسالته بالأنس والجن رسالة تكليف وللملائكة رسالة تشريف . والأدميون يكلفون بالبلوغ والجن يولدون مكلفين ورسالته ناسخة لجميع الرسل قبله فمن لم يؤمن به فهو كافر كمن أنكر رسالة أي رسول من الخمسة والعشرين الذين سبق ذكره .

((الكتب السماوية))

يجب علينا أن نؤمن أن الله أنزل كتبا صحفا على الأنبياء والرسل ونؤمن تفصيلا بما ذكر منها في القرآن وهي : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن .

فنؤمن أن الله أنزل هذه الكتب . والتوراة على سيدنا موسى والإنجيل على سيدنا عيسى . والزبور على سيدنا داود . والقرآن على سيدنا محمد ﷺ وعليه أجمعين .

ولكنا غير مكلفين بمعرفة ما في التوراة والإنجيل والزبور لأن القرآن الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ يغنينا عن هذا كله .

ومنكر واحد من هذه الكتب يعتبر كافر .

((الملائكة))

هم أجسام نورانية خلقت من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا يوصفون بذكورة أو أنوثة ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ونؤمن إجمالاً بأن لله ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، ونؤمن تفصيلاً بالآتي ذكره :

جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة ورقيب وعتيد . ومنكر واحد من هؤلاء يعتبر كافر .

والملائكة لهم قدرة على التشكل بالأشكال الجميلة .

ويجب أن نؤمن بوجود الجن . وهم أجسام خلقت من نار وله القدرة على التشكل بالأشكال الجميلة والقبيحة وهم مكلفون بما كلف به الأدميون من يوم ولادته .

((السمعيات))

وهى أحوال الآخرة فليس للعقل فيها مجال وإنما سمعت من الصادق المصدوق ﷺ فيجب الإيمان بها وهى ما ياتى :

) **<u>سؤال القبر :</u>**

وهو لكل امة الدعوة سواء كانوا مؤمنين أو منافقين أو كافرين، والذي يتولى السؤال ملكان يقال لهما منكر ونكير ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس وان الميت ليسمع قرع نعالهم كما في الحديث ، فيعيد الله تعالى الروح إلى جميع البدن، ويكون السؤال كما قال ابن عباس عن الشهادتين .

ويستثنى من عموم السؤال من ورد الأثر بعدم سؤاله كالأنبياء والصديقين والشهداء والمرابطين والملازمين قراءة تبارك كل ليلة من

حين بلوغ الخبر لهم سواء قرئت عند الموت أو قبل ذلك وكذا من قرأ في مرض موته ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمريض بالبطن والميت بالطاعون والميت ليلة الجمعة أو يومها والأطفال .

وحكمة السؤال أظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان وكفر أو طاعة أو عصيان . فالمؤمنون الطائعون يباهى الله بهم الملائكة وغيرهم يفضحون عند الملائكة .

١) **عذاب القبر :**

أضيف العذاب إلى القبر لأنه الغالب وإلا فكل ميت أراد تعذيبه عذب - قبر أو لم يقبر، أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رمادا وذرى في الرياح ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت أجزاء . والمعذب البدن والروح جميعاً باتفاق أهل الحق ويكون عذاب القبر على الكافر والمنافق و عصاة المؤمنين ويدوم على الكافر والمنافق وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين وهم من خفت جرائمهم من العصاة وقد يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو غير ذلك . وكل من كان لا يسئل في قبره لا يعذب فيه .

٢) **<u>نعيم القبر :</u>**

ويكون للمؤمنين الذين ليس لهم خطايا أو كان لهم خطايا وغفرت بتوبة أو برحمة الله . ولا يختص النعيم بالمقبورين . ولا يختص بمؤمني هذه الأمة ولا بالمكلفين .

ومن نعيمه توسيعه سبعين ذراعاً عرضاً وطولاً وجعله روضة من رياض الجنة وجعل قنديل فيه فينور لـ .

وقدر ورد أن الله تعالى أوحى إلى موسى تعلم الخير وعلمه الناس فإني منور لمعلمي العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشو .

وقد ورد من نور في مساجد الله نور الله له في قبر .

٤) **البعث والحشر :**

وهو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم والحشر هو عبارة سوقهم جميعاً إلى الموقف لفل القضاء بينه . ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الأنس والجن وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش وأما السقط فهو الذي لم تتمه له ستة أشهر فإن إلقى بعد نفح الروح فيه أعيد ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول وأن ألقي قبل نفخ الروح فيه كسائر الأجسام الذي لا روح فيها فيحشر ثم يصير تراباً إما إذا تم له ستة أشهر ألقي فيعتبر إنساناً كاملاً يعاد ويدخل الجنة كسائر أهل الجذ . وأول من تنشق عنه الأرض نبينا ﷺ ، فهو أول من يبعث وأول راد للمحشر كما أنه أول داخل للجذ ... وبعده سيدنا نوح . ومراتب الناس في الحشر متفاوتة فمنهم الراكب وهو المتقي ومنهم الماشي على رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشي على وجه وهو الكافر .

٥) **الحساب :**

وهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً قولاً أو فعلاً تفصيلا . ويكون للمؤمن والكافر إنساً أو جناً إلا من استثنى منه . ففي الحديث يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب فقيل له هلاّ استزدت ربك فقال استزدته فزادني مع كل واحداً من السبعين ألفاً سبعينا ألفاً هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني ثلاثا حثيات بيده الكريمة أو كما ورد .

فكما أنه من المؤمنين من يدخل الجنة بغير حساب كذلك من الكافرين من يدخل النار من غير حساب . فطائفة تدخل الجنة بلا حساب وطائفة تدخل النار بلا حساب وطائفة توقف للحساب .

ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعاً معاً حتى أن كل واحد يرى أنه المحاسب وحد .

وكيفيته مختلفة فمنه اليسير والعسير والسر والجهر والتوبيخ والفصل والعدل .

وحكمته إظهار تفاوت المراتب في الكمال وفضائح أهل النقص .

) اليوم الآخر وأهوال :

وهو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجن . وأهل النار النار . وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا . بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منها وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم .

والمراد بهول الموقف ما ينال الناس فيه من الشدائد لطول الوقوف قيل ألف سنة كما في آية السجد . وقيل خمسين ألف سنة كما في آية سأل " ولا تنافي لأنه يختلف باختلاف أحول الناس فيطول على الكافر ويتوسط على الفساق ويخفف على الطائعين حتى يكون كصلاة ركعتين .

ولا ينال شيء من شدائده التي ذكرت في القرآن الأنبياء والأولياء ولا سائر الصالحين قوله تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ فهم أمنون من عذاب الله لكنهم يخالفون ربهم خوف إجلال وإعظا .

فيجب الإيمان بهذه الأمور التي ذكرت وكذا يجب الإيمان بعلاماته المتواتر . فمن علاماته الصغرى منها ما وقع ومنها ما لم يقِ . وعلامته الكبرى عشر .

) ظهور المهدي) ثم خروج الدجال ( ) نزول عيسى بن مريم) ثم خروج يأجوج ومأجوج) وخروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمناً فيضئ وجهه، وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه ( ) وطلوع الشمس من مغربها) وظهور الدخان الذي يمكث في الأرض أربعين يوما يخرج من أنف الكافر وعينه وأذنيه ودبره حتى يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام ( ) وخراب الكعبة على

أيدي الحبشة بعد موت عيسى (9) ورفع القرآن من المصاحف والصدور 0) ورجوع أهل الأرض كلهم كفار .. نسأل الله الرحمـ .

ومن أسباب تخفيفه والإعانة عليه قضاء الحوائج للمسلمين وتفريج الكرب عنهم وإشباع الجائع وإيواء ابن السبيل .

ومما يجب الإيمان به أيضاً أخذ العباد الصحف لوروده كتابا وسنة وإجماع . فيجب الإيمان به ومن أنكره كفر .

والمراد من الصحف الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا وكل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة فيها جميع أعماله من خير وشر . والوزن والميزان : أي مثل اخذ العباد الصحف في وجوب الإيمان ويدل على الوزن قوله تعالى : ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ وعلى الميزان – قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر فيجب الإيمان به ونمسك عن تعيين حقيقته . ولا يكون الوزن للأنبياء ولا من يدخل الجنة بغير حساب . ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب . والمراد بقوله تعالى ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعـ . ويوزن لهم لأنه قد يكون منهم عملاً لا يحتاج إلى نيـ . كصلة الرحم ومواساة الناس وعتق المماليك فتجعل هذه الأمور إن صدرت منهم في مقابلة سيئاتهم غير الكفر أما هو - أي الكفر - فلا فائدة في وزنه لأن عذابه دائـ .

ومما يجب الإيمان به الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار .

وكذلك يمر عليه النبيون والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب وكلهم ساكتون إلا الأنبياء فيقولون : اللهم سلم سلـ .

والصحيح أنه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى . فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وقال بعض العلماء أنه يرق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشار .

فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي أحد في نور أحـ .. ومن هنا كان دقيقاً في حق قوم وعريض في حق آخرين .

وطوله ثلاثة آلاف سنـ . ألف صعود وألف هبوط وألف استواء وأعلم أن العباد تتفاوت في المرور عليه في سرعة النجاة وعدمه .

فمنهم فريق سالم من الوقوع في النار - نار جهنم ومنهم هالك بالوقوع فيها إما على الدوام والتأبيد كالكفار والمنافقين وأما على مدة يريدها الله تعالى ثم ينجو - كبعض عصاة المؤمنين ممن قضى الله عليهم بالعذاب .

والفريق الأول وهم السالمون من السيئات وأهل رجحان الأعمال الصالحة ممن خصهم الله بسابقة الحسنى، وهؤلاء يجوزون كطرف العين، وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق، وبعدهم الذين يجوزون سعياً ومشيـ . وبعدهم الذين يجوزون حبو .

وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمات الله، فمن كان منهم أسرع إعراضا عما حرم الله كان أسرع مرورا في ذلك اليوـ .

والحكمة في مرورهم على الصراط ظهور النجاة من النار وان يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد إشراكهم في المرور .

ومما يجب الإيمان به العرش وهو جسم عظيم نوراني علوي والأفضل الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بـ .

ومما يجب الإيمان به الكرسي وهو جسم عظيم نوراني تحت العرشر . ونمسك أيضا عن الجزم بتعيين حقيقتـ .

والقلم وهو جسم عظيم نوراني خلقه الله وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

ومما يجب الإيمان به الكاتبون الذين يكتبون على العباد أعمالهم في الدنيا واللوح وهو جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . وليست هذه الأمور لاحتياج الله لها وإنما خلقت لحكمة يعلمها الله لا لاحتياجه تعالى إلى شيء منه .

كما يجب الإيمان بوجود الجنة والنار . فالنار هي دار العذاب أوجدها الله فيما مضى . والجنة هي دار النعيم أوجدها الله أيضا فيما مضى فيجب الإيمان بذلك . والأكثرون على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش وأن النار تحت الأرضين السبع والحق تفويض علم ذلك إلى اللطيف الخبير وهما باقيان أبد .

وطبقات النار سبع أعلاها جهنم وهي لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنين وتصير خراباً بخروجهم منها .

وتحتها لظى وهي لليهود ثم الحطمة وهي للنصارى ثم السعير وهي للصابئين وهم فرقة من اليهود ثم سقر وهي للمجوس ثم الجحيم وهي لعبدة الأصنام ثم الهاوية وهي للمنافقين .

وذكر ابن العربي أن هذه النار التي في الدنيا ما أخرجها الله إلى الناس من جهنم حتى غمست في البحر مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها أحداً من حرها .

والجنة قيل أنها سبع جنات متجاورة أفضلها الفردوس وهي أعلاها والمجاورة لا تنافي العلو، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة ويليها في الأفضلية جنة عدن ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار الجلال .

والجنان كلها متصلة بمقام الوسيلة لينعم أهل الجنة بمشاهدته ﷺ لظهوره ﷺ منها لأنها تشرق على أهل الجنة . كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا .

ويجب أن نؤمن أيضا بحوض النبي ﷺ الذي يعطاه في الآخرة نبينا محمد ﷺ لكن منكره لا يكفر إنما يفسق . ومن شرب منه لا يظمأ أبد .

وقد ورد إن لكل نبي حوضاً ترده أمته . وحوض النبي ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبد . ويزاد عنه، أي يطرد عنه أقوام ظلموا أنفسهم بأن غيروا وبدلوا عهدهم الذي أخذه الله عليه .

ومما يجب الإيمان به أيضا الشفاعة، وهى سؤال الخير من الغير للغير . وأول شافع هو نبينا ﷺ فيجب الإيمان بأنه ﷺ شافع وانه مقبول الشفاعة وأنه مقدم على غيره فهو الذي يفتح باب الشفاعة لغيره وذلك بالشفاعة العظمى، وهى مخصصة به ﷺ هي أول المقام المحمود المذكور في قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ أي يحمدك فيه الأولون والآخرون . وله ﷺ شفاعات أخرى منها شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته في عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها . ومنها شفاعته في إخراج الموحدين من النار ومنها شفاعته في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

ولغيره ﷺ ممن ارتضاهم الله من الأصفياء شفاعات كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء كل منهم يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يدخلنا في شفاعة نبينا ﷺ كما نسأله أن يجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

* * * *

((رؤية الله))

رؤية الله للمؤمنين في الدنيا جائزة عقلاً وفي الآخرة واقع .

والدليل على جوازها في الدنيا أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم سألها فقال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

وسيدنا موسى نبي ورسول يعلم ما يجب وما يستحيل . وما يجوز في حق الله . لو كانت مستحيلة لما سألها .. لكنه سألها فهذا يدل على أنها جائز . وأيضاً أن الله سبحانه وتعالى علق الرؤية على أمر جائز وهو استقرار الجبل فقال : ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ واستقرار الجبل جائز عقلاً فتكون رؤية الله جائزة لكنها لم تثبت ولم تقع إلا لنبينا محمد ﷺ ومن ادعاها غيره فهو ضالاً وقيل بكفر .

.... هذا يقظة أما رؤيته تعالى في المنام فقيل وقعت للإمام احمد بن حنبل فرآه تسعا وتسعا مر . فقال إن رايته تمام المئة لأسألنه عن أفضل ما يتقرب به إليه المتقربون، فرآه وسأله فقال : كلامي يا أحمد، قال بفهم وبغير فهم، قال بفهم وبغير فه .

أما في الآخرة فهي واقعة للمؤمنين بدليل قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وورد في الحديث قوله ﷺ : أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر .

ورؤيته تعالى بلا كيف ولا انحصار - فكما يعرفه المؤمنون يرونه يوم القيامة في الجنة .

أما في الموقف فقد ورد في الحديث أنهم يرونه أيضا .

نسأل الله أن يكرمنا برؤيته ...

والناس يختلفون في رؤيته في الجنة فمنهم من يراه كل جمعة ومنهم من يراه بكره وعشيه . ومنهم من لا ينقطع عن رؤيته .

يقول أبو يزيد البسطامي : أن لله عباداً لو احتجب الله عنهم في الجنة لا استغاثو من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .